

الحُبْ تؤمِّن السعادة



ليس من الممكن أن نتصوّر وجود خصام بين الإحساس بالسعادة وشعور الحب، كما لا نتصوّر حبّاً لا يرقى على فراش وثير من السعادة.. فالسعادة والحب متلازمان، وهما توأمان لا ينفصلان.

ونعني بالسعادة تلك النفحـة التي تحمل على أحـجـتها معـانـي الشـعـور بـالـلـذـّـة وـالـرـّـاحـة وـالـاسـتـقـرارـ النفـسيـ، لـكـلاـ الطـرفـينـ، فـقـدـ تـكـوـنـ سـعـادـتـكـمـ فيـ تـكـوـنـ الـعـلـاقـاتـ الثـنـائـيـةـ الـحـسـنـةـ، أوـ فيـ شـعـورـكـمـ بـأـنـكـمـ مـحـبـوبـونـ، أوـ فيـ وـجـودـ مـَـنـ يـهـتـمـ بـأـمـوـرـكـمـ وـيـلـبـّـيـ طـلـبـاتـكـمـ، أوـ فيـ وـجـودـ مـَـنـ يـتـجـاذـبـ مـعـكـمـ أـطـرافـ الـحـدـيـثـ.. إـلـىـ آخـرـ الـأـشـيـاءـ الـتـيـ بـتـوـفـرـهاـ يـكـوـنـ إـلـاـنـسـانـ مـطـمـئـنـاـ مـرـتـاحـاـ مـسـتـقـرـاـ.. رـاضـيـاـ..

وـأـفـضـلـ طـرـيقـ لـبـلـوغـ السـعـادـةـ، هـوـ ذـاكـ الـذـيـ تـرـسـمـهـ مـشـاعـرـ الـحـبـ. إـنـكـ تـسـأـمـ مـنـ مـحـادـثـةـ إـلـاـنـسـانـ الـذـيـ تـبـغـضـهـ، بلـ وـلـاـ تـطـيـقـ سـمـاعـ تـرـدـدـاتـ صـوـتـهـ، لـكـنـكـ حـتـمـاـ سـتـكـونـ سـعـيدـاـ عـنـدـمـاـ تـجـاذـبـ أـطـرافـ الـحـدـيـثـ مـعـ مـنـ تـحـبـ، وـتـسـتـأـنـسـ عـنـدـمـاـ يـشـنـّـفـ صـوـتـهـ سـمـعـكـ، وـتـتـذـوقـ حـلـوةـ الـحـرـوفـ الـتـيـ تـتـقـاطـرـ مـنـ ثـغـرـهـ.

ولـعـلـ هـنـاـ لـكـ بـعـضـ الـفـروـقـ فـيـمـاـ يـخـلـقـ الشـعـورـ بـالـسـعـادـةـ بـيـنـ الـزـوـجـ وـالـزـوـجـةـ، لـكـوـنـهـمـاـ رـجـلـاـ وـإـمـرـأـةـ يـخـتـلـفـانـ فـيـ الـجـنـسـ وـفـيـ مـاـ يـسـتـبـعـ ذـلـكـ مـنـ الـأـحـاسـيـسـ وـالـنـفـسـيـاتـ، فـالـرـجـلـ قـدـ يـشـعـرـ بـالـسـعـادـةـ عـنـدـمـاـ يـشـعـرـ بـأـنـ كـلـ شـيـءـ يـسـيرـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ وـعـنـدـمـاـ يـحـسـ بـالـثـقـةـ بـالـنـفـسـ. لـكـنـ هـذـاـ الإـخـلـافـ الـطـفـيفـ لـاـ يـعـيقـ دـورـ الـحـبـ فـيـ تـكـوـنـ السـعـادـةـ، لـأـنـ الـحـبـ بـدـورـهـ يـجـلبـ ذـلـكـ الإـحـسـاسـ عـنـدـ الـطـرـفـينـ مـنـ دـوـنـ فـرـقـ بـيـنـهـمـاـ، فـحـبـ

الزوج لزوجته يعني سعادتها، وحب الزوجة لزوجها يعني سعادته ..

يقول جون جري مؤلف كتاب (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة) بخصوص إحساس النساء بالسعادة: "النساء يكن سعيدات عندما يثقن بأنّ حاجاً تهنّ سُتُّلبيّ، وأكثر ما تحتاجه المرأة هو عشرة بسيطة عندما تكون منزعجة، مقهورة مشوّشة، مجدها وقادة للأمل. فهي بحاجة إلى أن تشعر بأنها ليست وحيدة، بل محبوبة، مدلّلة".

وحتى نتعرّف على كيفية ولادة توعم السعادة عندما يولد الحب، يحدّر بنا أن نتعرّف على هذه الحقيقة، وهي أنّ للمساعر تأثيراً على الجهاز العصبي للإنسان، من طريق نفوذه إلى مراكز الانفعال في المخ، وبالتالي فهو يؤثّر على الأعصاب.. إذ يقوم مركز الانفعال بإفراز مادّة (السيروتونين)، التي تؤثّر على توتّر الأعصاب، ففي حالة إغراق مساعر من الحب من جانب أحد الزوجين سوف يحسان بهدوء الأعصاب والارتقاء بحالة الرضا، والطمأنينة، والراحة واللذّة، التي تجتمع لتكون الإحساس بالسعادة.

وقد جاء في الحديث عن الإمام الحسن العسكري (ع): "أقل الناس راحة الحقود" .. إذاً من أكثر الناس راحة الودود، المحب.

ويعرف مؤلف كتاب (كيف تحيا سعيداً) السعادة كما يأتي: "السعادة هي الملامة بين قلب الإنسان وواقع الحياة التي يعيشها".

فالحياة التي يعيشها الإنسان لها تأثير على قلبه وإحساسه.. فإن كان واقع حياته زوجة يربّطه بقلبها عقال الحب فإنّ ذلك سيتمثل السعادة.. لأنّه سيشعر بالراحة والإنسجام بين حياته وقلبه.

فهل ستتساهم زوجتك في إعطائك كل ذلك إلا إذا كانت تحبك حباً عميقاً؟!.. وكيف ستوفّر لها أفضل وسائل الراحة والاستقرار والسعادة بدون حبك إياها !!

الحب المتبادل بين الطرفين بحدّ ذاته يشيع جوّاً من السعادة الزوجية، لأنّك إذا أحسست بأنّك محبوب، فستزداد بلا شك ثقتك بنفسك وستشعر بالراحة والأمان.

يقول مؤلف كتاب (الفوز بالسعادة): "لعل أحد العوامل الرئيسية في افتقار اللذّة هو الشعور بأنّ المرء غير محبوب، بل على النقيض من ذلك، عندما يكون محبوباً ترى اللذّة ظاهرة عليه أكثر من أي شيء آخر".

ولقد قامت إحدى المؤسسات برصد الأمور التي تجعل الإنسان في حالة الرضا العام، أي السعادة، فكانت النتيجة كالتالي:

- 1. الحياة الأسرية.
- 2. الزواج.
- 3. الحالة الاقتصادية.
- 4. المسكن.
- 5. الوظيفة.

6- الصداقة.

7- الصحة.

8- النشاطات الترويحية.

فالحياة الأسرية والزواج يتتصدران قائمة الحالات التي تجعل من الإنسان سعيداً وراضياً.

وأبلغ ما قيل في تأثير الحب على شعور الإنسان وسعادته، وأصدقه هو قول الرسول الأعظم (ص) : "ما ضاق مجلس بمتحابٍ بين".

فما أجمل هذا التعبير الذي يعبر عن حقيقة ما يفعله الحب في قلوب المحبين حتى في كدر الضيق، إذ ينبع نور الحب من القلبيين ليحوّل ضيق المكان إلى سعة السعادة، لا بهدم الجدران، وإنما بإزالة الترببات الجاثمة فوق إحساس الإنسان، ليتحرّر وينطلق نحو سعادة القرب وأنس الحبيب. أجل.. هكذا يقوم الحب بدوره في إدخال صاحبيه عالم السعادة المشتهي.

المصدر: كتاب الحُب في العلاقات الزوجية